نـزيـه قـوره

شـبح الصهيونيـة الديـموغرافي

اشتهر عن غولده مئير ، رئيسة وزراء اسرائيل السابقة ، قولها : « أريد ان أنام دون ان افكر كم طفلا عربيا ولد الليلة » . ونريد من ايراد هذه العبارة استخلاص امور أخرى ، غير عنصرية الحركة الصهيونية. فالجدل السياسي الصهيوني يحفل باستعمال تعبير ، يكاد استعماله يقتصر على الحركة الصهيونية ، وهو تعبير « الشبح الديموغرافي » . وسواء كان الجدل يتعلق بمسألة الضفة الغربية وقطاع غزة ، او بالجليل والمثلث او بالنقب ، فان هذا « الشبح » يكاد يهيمن على عقل وتفكير قيادة الجيش الاسرائيلي ، ومسؤولي دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية ، اضافة الى المسؤولين عن ادارة الاقتصاد الاسرائيلي .

ان أهمية هذه المسألة تنبع ، في جوهرها ، من حقيقة أن تجسيد المشروع الصهيوني هو ، في الأساس ، عملية استبدال سكان بسكان : اخراج السكان العرب واحلال سكان يهود محلهم . ومن هنا كانت الفكرة الأساسية المسيطرة على العقل الصهيوني ، منذ بداية احتلال الانجليز لفلسطين عام ١٩١٧ ، هي فكرة الوصول الى اغلبية يهودية ، وتحويل العرب الى اقلية في بلادهم . غير ان هذا الهدف لم يكن تحقيقه مرتبطا فقط بقدرة السلطة البريطانية الانتدابية على كسر مقاومة العرب للمشروع الصهيوني ، بل كان العامل الحاسم في تحقيقه هو القدرة على استجلاب اعداد كافية من المهاجرين اليهود لتحقيق هذه الاغلبية . وحتى يومنا هذا لم تعان الحركة الصهيونية من الاحساس بالمرارة والفزع والشعور بالخيبة العميقة الا عندما كانت تقف في مواجهة طائفة يهودية ترفض الهجرة الى فلسطين ، رغم عدم وجود ما يعيق هجرتها تلك .

في عام ١٩١٧ كان عدد اليهود في فلسطين يقدر بنحو ٥٠ الفا ، مقابل ٦٥٠ الف عربي . وفي الاعوام التي تلت الاحتلال الانجليزي مباشرة ، وحتى عام ١٩٢٣ ، لم يكن عدد اليهود المهاجرين الى فلسطين يتجاوز ٩٠٠٠ مهاجر سنويا : وهذا الرقم كان يعني ان الصهيونية تحتاج لأكثر من مئة عام لكي تهجر مليون يهودي الى فلسطين . غير ان « مصادفة سعيدة » ،